الموازنة بين تراجيديات شكسبير المبكرة وتراجيدياته المتأخرة . كما يلمس المرء من خلال هذه الموازنة اختلافا في مزاج الشاعر ونظرته العامة الى الأشياء . ان تراجيديا الشابين روميو وجولييت كلها نشيد للحب ينتهي بانتصارهما المعنوي على عالم الشر وعلى العداوة بين أسرتي مونتيكي وكابوليتي . اما في التراجيديات التالية فالأبطال أقل جمالاً ، ولكن الأمر الأكثر اهمية هو أن مصرع الأبطال لايجتث الشر من العالم . ان طابع التراجيديات المتأخرة أشد قتاما . وتراجيدية الحياة فيها عميقة الى حد لامثيل له في التراجيديا من قبل شكسبير أو بعده . واذا ماوجد المرء في هذه التراجيديات ملاحظات حول الحياة تغص بالمرارة والحزن فذلك ليس ناتجا عن اخفاق مني به الكاتب أومصيبة اصابته . فالأعوام التي أبدع فيها شكسبير هذه المسرحيات التراجيدية كانت أفضل أعوام حياته من جميع النواحي .

ماالذي دفع شكسبير اذن الى ممارسة هذا اللون من الابداع ؟ أهو الاهتمام الفني المجرد ورغبة الكاتب في البرهان على أنه يجيد كتابة التراجيديا بمهارة لاتقل عن مهارته في كتابة الكوميديا والمسرحية التاريخية ؟ .

اننا وان سلمنا بذلك لانستطيع ، ونحن نتعرف على تراجيديا شكسبير الا أن نشعر بوجود شيء أكبر من مجرد السعي الى تملك لون جديد من الوان الفن المسرحي .

لقد كان شكسبير فنانا ورجل فكر . انه فكر كثيرا في امور الحياة والانسان وجميع مسرحياته ملأى بتلك الأفكار . كان شكسبير يرى شرور الحياة باستمرار . ومسرحياته التاريخية حول مصائر الملوك الانكليز وكذلك ( يوليوس قيصر ) تزخر بصور تلك الشرور حتى كوميديا شكسبير تظهر ، الى هذا الحد أوذاك ان الغيرة والحسد والحقد والقسوة ظواهر تعيق الحب والصداقة . ولكن شكسبير ظل في السنين العشر الأول من حياته الأدبية يؤمن بامكانية انتصار بدايات الحياة الخيرة على بداياتها الشريرة .

غير أن الشر ينتصر في أغلبية تراجيديات شكسبير المتأخرة . قد يحدث ان يصاب الشر بهزيمة ظاهرية كما في مكبث فالشرير الذي استولى على العرش يقهر في نهاية المطاف ولكن جوهر التراجيديا ليس في الصراع بين الملك السفاح مكبث وخصومه ، بل هو في وقوع ذلك الانسان الجميل النبيل المتمتع بصفات البطولة الأصلية تحت سيطرة الهوى الطائش وحب السلطة الذي دفعه الى ارتكاب الجرائم وراقة الدماء .